(١)

وحدة الوطن سبيل قوته

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

وبعد :

فقد جاء النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) برسالة تدعو إلى **الوحدة والتآلف** ، **وتنهى عن الفرقة والشقاق** ، فجمع أشتات العرب المتنافرين ، وجعلهم أمة واحدة ، وآخى بينهم بأخوة الإيمان ، وربط بين قلوبهم برباط الألفة ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ، ويقول سبحانه : {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، كما أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتواد والتراحم والتعاطف ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) .

على أن هذا التآلف **لم يقتصر على المسلمين فيما بينهم**؛ **ولكنه شمل الناس جميعًا** ، حيث يقول الحق سبحانه : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، وهذا ما أكده القرآن الكريم حين تحدث عن الأخوة الإنسانية بين الأنبياء وبين المخالفين لهم في العقيدة ، ومن ذلك قوله تعالى : {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}، وقوله جل شأنه : {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} ، وقوله سبحانه : {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} ، وبعد أن ذكر الحق سبحانه قصص الأنبياء السابقين ، قال (جل شأنه) : {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}، ويقول سبحانه : {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} ، قال الإمام البغوي (رحمه الله) : بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة

الدين ، والألفة والجماعة ، وترك الفرقة والمخالفة.

ومما لا شك فيه أن دعوة الإسلام إلى **الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والأنانية** ، **هي إحدى عوامل الحفاظ على قوة الوطن وسلامة المجتمع** ؛ لأن الفرد مهما كان قويا في مجتمع ضعيف فإنه يظل ضعيفًا ، وفي المقابل إذا كان الفرد ضعيفًا في مجتمع قوي فإنه يستمد قوته من قوة المجتمع الذي يعيش فيه ؛ لذا أعلى الإسلام من قيمة المواطنة ، وأكد على أن الوطن لجميع أبنائه ، وهو بهم جميعا ؛ لأن وحدة الوطن تقتضي عدم التفرقة بين أبنائه على أساس الدين أو اللون أو الجنس ، فلا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، ومن هنا كانت وثيقة المدينة التي أقرها النبي (صلى الله عليه وسلم) مع يهود المدينة ؛ حيث أعطى اليهود كل حقوق المسلمين من الحرية ، والأمن ، والسلام ، وألزمهم فيها بالدفاع المشترك مع المسلمين عن المدينة ، في تأكيد قوي أن الوطن في الإسلام يشمل جميع المواطنين ويسعهم طالما التزم كل منهم واجباته ومسئولياته.

كما أعلى الإسلام من قيمة العمل بروح الجماعة ، وجعل وحدة الصف ، وتكاتف الجهود ، ونبذ الخلافات واجب الأمة في كل زمان ومكان ، وهذا أمر الله تعالى في القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ) ، ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا للأمة في اتحادها وتماسكها وتآزرها بالبنيان المرصوص ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) ، ولله در القائل :

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيّ إِذَا اعْتَـرَى ** خَطْـبٌ ، وَلاَ تتفرقُـوا آحَـادًا

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجتَمَعْنَ تَكَسُّرًا ** وَإِذَا افْتَـرَقْـنَ تَكَسّـرَتْ أَفْـرَادًا

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم نماذج للوحدة التي أدت إلى الحفاظ على الوطن ، وسلامة المجتمع ، ومن ذلك ما كان من سيدنا يوسف (عليه السلام) حين أعد الخطة المحكمة ، وتعاون الجميع واتحدوا خلف غايتهم ، وطبقوا ذلك على أرض الواقع ، فتعاونوا وتكاتفوا كل قدر استطاعته وفق المنهج المرسوم ، ورغبة في الغاية المنشودة ، فتحقق للبلاد الرخاء والازدهار ، والحماية ، والقوة الاقتصادية ، وجاءه الناس من كل فج عميق لينالوا من خيرات مصر ، حيث قال سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام): { تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} .

كما دعا الإسلام ورغب في كل أمر يكون سببا في وحدة الصف والاجتماع ، فدعا إلى الرحمة واللين والرفق ، فقال تعالى : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} فالرحمة واللين وخفض الجناح سبب للاتحاد وتأليف القلوب ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) .

كما دعا الإسلام إلى نشر الألفة والسلام بين أبناء المجتمع على اختلاف عقائدهم، حيث يقول الحق سبحانه: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}، ويقول سبحانه : {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، وكان النّبي (صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع غير المسلمين من هذا المنطلق القرآني ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحسن إليهم ، ويقبل هديتهم ، ويجيب دعوتهم ، ويعود مريضهم ؛ إظهارًا لسماحة هذا الدين، وحفاظًا على وحدة المجتمع وتماسكه .

وجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) المحبة بين الناس شرطًا لكمال الإيمان ، فقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) ، ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن خصومة الغير ، والانخراط في أسبابها ، وجعل الخيرية لمن يسارع في تحقيق التصالح والوئام ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ) .

إن واجب الوقت وفقه الأولويات يحتمان على جميع أبناء الوطن المخلصين المدركين لطبيعة المرحلة ، أن **يقفوا جميعًا صفًّا واحدًا حتى تتحقق الكفاية لوطنهم كل في مجال عمله** ، فأهل الطب يتعاونون في تحقيق الكفاية لوطنهم ، وكذلك رجال القانون ، والهندسة ، والزراعة ، والتعليم ، وسائر التخصصات والصناعات وذلك بتنمية روح البذل والعطاء ؛ فهذا يعمل بيده ، وذاك ينفق من ماله، وهذا يعلم الناس ، وبهذا يتم توظيف جميع الطاقات والمواهب لخدمة الوطن ، فهذا من صميم ديننا ، حيث خاطبنا الله تعالى جميعًا بصيغة الجمع التي لا تستثني أحدًا من العمل والجد ، حيثُ يقول سبحانه : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} ، ويقول سبحانه : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} .

أقولُ قولِي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلّ وسلمْ وَبارك عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ.

إخوة الإسلام :

إن المتابع الجيد لأحداث التاريخ يدرك أن التفرق والاختلاف سبب من أسباب الهزيمة والضعف ، وقد حذرنا القرآن الكريم من ذلك ، فقال تعالى : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ، وقال سبحانه : {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ، كما أن التفرق واختلاف الكلمة يذهب مهابة الأمة ، ويورثها الضعف والوهن ، ويكفي في التحذير من الفرقة أن من مات عليها مات ميتة جاهلية .

من أجل ذلك حارب الإسلام كل سلوك ومظهر من شأنه أن يؤدي إلى الفرقة والاختلاف ، فترى أن الإسلام نهى عن **العنصرية التي هي أثر من آثار العصبية الجاهلية الممقوتة** ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ) ، كما بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالتَّقْوَى...) .

كما نبذ الإسلام الكراهية وحذر منها ؛ لأنها الوقود المحرك لكل عدوان ، يقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ، قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ) أي : التي تزيل الحسنات وتمحوها ، كما حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كراهية الإنسان

لأخيه ، وربط بين كمال الإيمان وسلامة الصدر ، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

ومن هنا ينبغي أن نبتعد عن كل ألوان الفرقة والشقاق والتنافر ، وكل مظاهر العنف والتشدد ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) ، وكررها ثَلَاثًا ، والمتنطعون هم المتعصبون والمتشددون الذين يتجاوزون حد الاعتدال في أقوالهم وأفعالهم ، وينشرون الفرقة بين الناس ، فهؤلاء أصحاب مصالح خاصة ، يوظفون الدين لمصالحهم وأهوائهم ومطامعهم السلطوية ، فيفرقون ولا يجمعون ، ويَضِلونَ ويُضِلون ، ويغرسون العداوة والبغضاء في النفوس ، وقد تبرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك كله فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) .

إن قوة الوطن تنبع من تماسك ووحدة جميع أبنائه ، واتحاد واصطفاف أهله ، وبعدهم عن التشرذم والتفرق ، وهذا مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ، نحن في أمس الحاجة إلى تطبيقه عمليًّا ، خاصة والعالم حولنا يتكتل ولا يحترم إلا الأقوياء المتحدين .

اللهم وحد صفوفنا ، وألف بين قلوبنا ، ووفقنا لما تحب وترضى ،
وارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، واحفظ مصرنا، وارفع رايتها في العالمين .